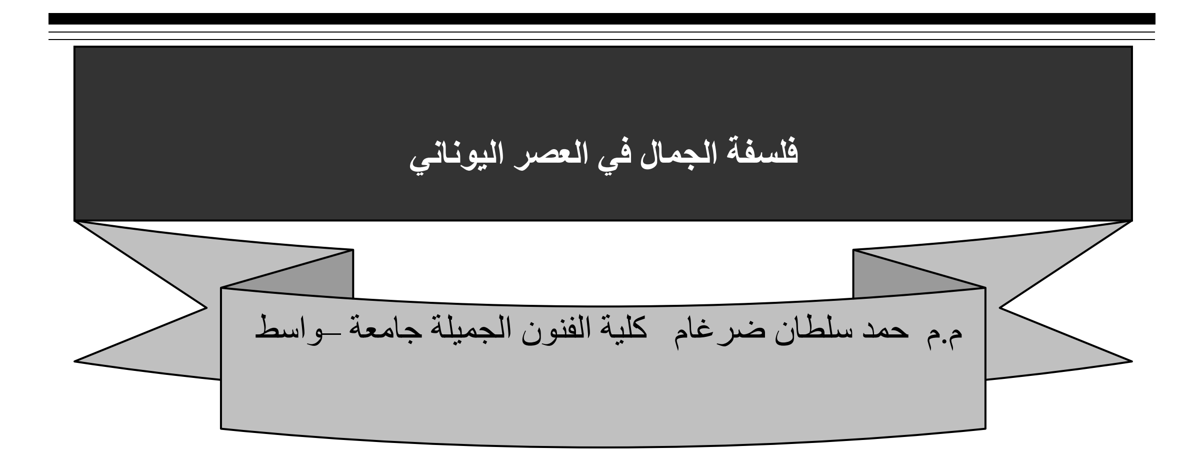


تبينت الملامح الجمالية في الفكر اليوناني القديم منذالبدايات الأولى في القرن العاشر ق. م ، في قصائد شعراء الملاحم الإغريقية(هوميروس)[1]، و(هزيود)[2].نقلت قصائد هوميروس وهزيود الأساطير اليونانية بأسلوب شعري غنائي ، وتحدثت عن علاقة الآلهة بالبشر وكيف تحكمت الأقدار بمصير الآلهة والبشر ، وأصبحت هذه القصائد هي المادة الأساسية بالاحتفالات الدينية التي كانت تقام في المدن اليونانية في الساحل الأوربي والساحل الأفريقي . كما استمدت الأفكار الفلسفية الكثير من قوانينها من هذه الأساطير.

يمكن تقسم تطور الفلسفة اليونانية إلى عدة مراحل-:

المرحلة الأولى : وهي بدايات الفكر الفلسفي اليوناني ويمكن حصرها-:

- **بالفلسفة ألأيونية نسبة إلى المدن الأيونية الأنثى عشر، التي نشأت في الجزر الأيونية (جزر بحر ايجة) ، والتي كانت تمتع باستقلال تام ، كل جزيرة تحكم نفسها بنفسها ، وسميت بهذا الاسم نسبة إلى قبيلة ايونيا التي سكنت هذه الجزر . من اشهر هذه المدن :- (أمنوس ، ساموس ، ميلتوس- مالطا حاليا). ومن اشهر الفلاسفة (طاليس ، وأنكسمندر ، وأنكسيميس).[3]**
- **الفلسفة الأيلية ، نسبة إلى مدينة إيليا وهي مدينة يونانية نشأت في جنوب (أيطاليا حاليا) في 570- 450 ق . م**
- **الفلسفة الفثاغورية نسبة إلى الفيلسوف (فيثاغورس) ، والتي نشأت في شبه جزيرة ايطاليا**

المرحلة الثانية :- وفي هذه المرحلة تبلور الفكر الفلسفي وأخذ ينحو منحى الأفكار المجردة ويبتعد عن الفكر الأسطوري .ويمكن أن تحصر في هذه المرحلة المدارس الفلسفية التالية-:

- **الفلسفة السفسطائية.**

- الفلسفة المثالية (فلسفة سقراط وافلاطون)
- الفلسفة العقلية (فلسفة ارسطوطاليس) .

المرحلة الثالثة :- المرحلة التي تأثر فيها الفكر الفلسفي اليوناني بالأفكار الشرقية ، ويمكن حصرها :

- الفلسفة بالهلنستية.
- الفلسفة الرومانية.
- الفلسفة الأيونية

الفلاسفة اليونانيون

طاليسThales

عاش بالفترة 624 – 550 ق . م ،ينتميالفيلسوفطاليسإلىمدرسة (أيونيا) ولدفيجزيرة (مالتوس - جزيرةمالطا) .اعتقد أن الماء هو المادة الأولى التي تكونت منها الحياة ، اما الأرض فهي جزر طافية على سطح الماء الذي لا حدود له ، فوقه السماء التي لا حدود لها ايضاَ[4]. وان تبدو لنا هذه الفكرة ساذجة إلا انها فسرت اسباب الوجود ضمن العقلية السائدة آنذاك ، وضمن قدرة العلماء على التأمل في سر الوجود المنسجم مع العقائد السائدة آنذاك .

يعتقد طاليس ان جميع ما في الكون يصدر عن أصل واحد الذي هو الماء ، والاختلاف الظاهر مرده الى تعدد الحالة التي يكون عليها الماء ، فمن الماء يخرج الطين والرمل ويتكون التراب ، والحيوان والنبات يتغذيان بالرطوبة (الأشياء الرطبة) ، والإنسان يتغذى بالحيوان والنبات ، والشي يتكون مما يتغذى منه . فالأرض قرص طافي على سطح الماء ، إذا اهتزت سببت الزلازل والبراكين واذا انحلت أعطت الهواء .[5]

أنكسمندر Anaxemander

عاش بالفترة 611 – 547 ق . م ، ينتميإلىمدرسةأيونيافيالفلسفة . إعتمد أسلوبهالفلسفيعلىمعرفة الشيء بنقيضه ، فلا يمكن ان ندرك الحرارة إلا اذا أدركنا البرودة ، فإذا أنعدم هذا التقابل انعدمتكذلك الصفات والخصائص فلا يعقل ان تكون المخلوقات على تناقض صفاتها وخصائصها من أصل واحد . واعتقد ان الأرض كانت سائلا حاراَ ثم أخذت تتجمد شيئا فشيئاَ فتكونت اليابسة وتبخر الهواء والماء من شدة حرارتها في أثناء التكوين ، ثم تكثف الماء ونزل مطرا وتكون الماء . و هكذا تكونت عناصر الكون (التراب والماء والهواء والنار) [6].

اما المخلوقات فأصلها من الرطوبة التي تكون النسبة الكبيرة من جسمها ، وخرجت جميعا من الماء كالصدف والقشور والأسماك وبدأت تتكيف من المحيط حتى حصلت على شكلها الحالي .[7]

أكزنوفنسAenophanes

عاش في إيليا* ، ينتمي إلى الفلسفة الإيلية[8] ، وهو من الفلاسفة الذين رفضوا فكرة الشرك في العقيدة الدينية الوثنية لليونان القديم ، هاجم افكار شعراء الملاحم هوميروس وهزيود الذين صوروا الآلهة بصورة البشر تمكر وتخدع وتسرق وتغضب وترضى وتبغض وتحب ، تسرق وتغضب ، . أعتقد ان للكون ربا واحداً لا يتعداه الكمال وهو لا يشبه البشر ، لا في الصورة ولا في نوع التفكير ، لا يعتريه او تبدل او فناء . وأعتقد ان اليابسة قد خرجت من البحر وستغوص في البحر ثم تعود مرة اخرى (هذه الفكرة مستمدة من فكر الديني في بلاد الرافدين) . اما الشمس فأنها لا تدور حول الأرض . انما تمضي في خط مستقيم حتى اذا جاء الليل تختفي خلف الأفق ثم تولد شمس اخرى كل يوم . وهذا الرأي على سذاجته انما هو محاولة لتغير الفكر الوثني ، ، إذ ان الشمس عند الإغريق هي لهب مقدس ينبعث من الإله ابولون وهو يقود عربته من الشرق متجهاّ إلى الغرب ويدور في الليل حول العلم السفلي عالم الأموات ثم يعود مرة اخرى ليدور حول الأرض ، وما شروق الشمس وغروبها إلا هي حركة عربة ابولون حول الأرض. أما اعتقاد أكزنوفنس فقد حط من منزلة الشمس وأنزلها من منزلة الآلهة إلىأداة تولد وتموت كمثل كل الكائنات الحية.

بارميندسParrnenides

عاش في أيليا ، من سنة 514 ق .م ، أعتقد بوجود شيئاً ثابتاَ، سماه الوجودBeing ، فصفة الوجود هي جوهر الكون والأشياء الثابتة التي تستمر والتي تتغير . والتي يمكن الوصول إلى حقيقتها بالعقل المجرد الخالص وليس عن طريق الحواس . لان الحواس تدرك الأشياء المتغيرة والمتحولة والفانية. واعتقد ان حقيقة الكون هي الوجود نفسه فليست ظواهر الكون حقيقة بذاتها ، ولكن وجودها هو الحقيقة أي ان جوهر الكون هو الكينونة الدائمة التي لا يجوز عليها أن تتحول إلى غير ما هو عليه . وما تدركه الحواس من الأشياء التي تتغير وتتحول بشكل دائم وهذه الصفات تبعدها عن الحقيقة الثابتة ، والشيء الثابت هو الذي يمكن ان نستدل عليه بالبراهين الثابتة (قوانين الرياضيات) اما المتغير والمتحول فهو نسبي ، لا يمكن قياسه بالقوانين الثابتة . ووجود الأشياء هو الحقيقة ، اما مظاهرها فهي حقيقة الشيء الأنية وليس المطلقة؛وتعتبر أراء بارميندس هي خلاصة مدرسة الإيلية ، فقد اتفق الفلاسفة الأخرون مثل زينون Zeno بأن العالم الحواس عالم باطل لأنه يدرك من خلال مواد يعتريها التغيير والزوال والحقيقة لا تتغير ولا تزول .

لقد خطت الفلسفة الإيلية بالفكر الإنساني خطوة منسجمة نحو توحيد الحقيقة . فقد جردت الفكر من فكرة الكم وفكرة الكيف واعتبرت العالم فكرة مجردة من كل شيء .[9]

الفلسفة الفيثاغورية

تأسست هذه المدرسة على يد فيثاغورس الذي ولد في جزيرة ساموس وهاجر إلى الشرق في فلسطين وبابل ومصر ، تزود بعلوم الشرق ، واستقر في مدينة (كورتوناCrotona) جنوب (ايطاليا حاليا) . وكون جماعة أو مدرسة فلسفية تدعوا إلى الإصلاح ومكارم الأخلاق وطهارة النفس الابتعاد عن الدنس ،لان الجسد سجن الروح والزهد أحدى ادوات تخليص الروح من هذا السجن . ويمكن ذلك بالعلم والفلسفة والنشاط العقلي والروحي[10] . الفثاغورية مدرسة ذات نزعة صوفية غامضة أستمت أفكارها وشعائرها من الديانة الأورفيورسية[11]. كما أنها ذات نزعة علمية وفنية ، ميزوا ما بين العلوم والفنون ، والصناعات والدين والموسيقى والرياضة ، وابتكروا سبعة وأربعون نظرية في الهندسة والرياضيات ، كما أولى للرياضة البدنية أهمية خاصة.

أعتقد فيثاغورس أن كل شيء يمكن أن يدرك بالحواس ، التي لا يمكن الركون اليها لأنها نسبية ومتغيرة . ولكن كل شيء جسماني أو غير جسماني له صفة العدد . ولا يمتاز شيئا على آخر إلا بالعدد الذي هو جوهر الأشياء ، لا بل انه حقيقة الكون وجوهره أن جميع الأشياء تختلف عن بعضها الحجم والشكل والوزن واللون والرائحة ، وحتى المذاق ، وهذ الفوارق تجعل التوحيد بين الأشياء امرا مستحيلاَ ، ولكنها تتوحد بالعدد . يمكن أن تتصور عشرة برتقالات ، وهي تختلف في الحجم والوزن واللون والطعم والرائحة . ولكن الشي الثابت أنها تشترك بأن عددها عشرة . وكل شيء في الكون له عدد هو الأساس له ، فأن قلنا ان هذه الشجرة أطول من تللك الشجرة ، يعني الوحدات الطولية في الشجرة الطويلة اكثر من غيرها ، وهذ الأمر يشمل جميع الأشياء في الكون . فالأعداد عند الفثاغوريين مادة الكون وأساسه . ولما كانت جميع الأعداد متفرعة من الواحد ، فهي مها بلغت من الأعداد والكثرة فأنها عبارة واحد متكرر ، لذلك اعتبروا الواحد أصل الوجود عنه نشأ وتتطور.

والأعداد تنقسم إلى اعداد فردية وزوجية ، واعتبرواذلك علة انقسام الوجود إلى المتقابلات محدود ولا محدود . ووضعوا عشرة متقابلات أضداد اعتبروها عماد الكون ووجوده وهي-:

الفردي والزوجي ، المحدود واللامحدود ، الواحد والكثير ، اليمين واليسار ، الذكر والأنثى ، المستقيم والمنحني ، السكون والحركة ، النور والظلمة ، الخير والشر ، المربع والمستطيل.

والموسيقى عبارة عن أعداد من النغمات تفصل بينها أبعاد زمنية ، وهي موجات صوتية واهتزازات وترية تقاس بوحدات رياضية ، لذلك وضع فيثاغورس نظام لكتابة الموسيقى .

وتحويلها من اصوات إلى رموز. ولعل مبالغتهم في الأعداد دفعهم للخلط بين الحساب والهندسة . فالحساب يعتمد على الواحد الحسابي ، أما الهدسة فأنها تعتمد على النقطة كوحدة حسابية . فالعدد يتكون من آحاد وعشرات ومئات والالوف ، والخط المستقيم يتكون من نقط ، وليس للنقط وجود حقيقي بل هي مفترضة . ولكن الفيثاغوريين وقعوا في هذا الفخ فاعتبروا النقطة والعدد شيء واحد.

اشتهر الفثاغوريين بالرموز والألغاز ، للتستر بالحكمة فيما بينهم ، ليستروا مناقشتهم من الجهلاء ، من هذه الألغاز (لا تعتد في الميزان) اي أجتنب الأفراط ، و(لا تحرك النار بالسكين) لأنها موصلة للحرارة ويعني أن أجتنب الكلام المحرض على الغضب ، و(لا تضع تماثيل الإله في فصوص الخواتم) أي لا تجهر بديانتك واسرار العلوم عند الجهلة .[12]

أستخدم الفيثاغوريون علم الرياضيات والموسيقى ، واعتبروها أحد أهم الوسائل في ترويض النفس وتطهيرها . كان فيثاغورس يمارس الموسيقى وهو الذي وضع الأساس الرياضي للسلم الموسيقي . طبق هذا الفيلسوف التوافق الهارموني في الموسيقى على حركة الأجرام السماوية وهو صاحب فكرة ائتلاف الأضداد و التوافق بين الأضداد ويعتقد أن هناك وجوديين:

1. **الوجود المعقول**
2. **الوجود المحسوس**

وصراع الأضداد يهدف في النهاية إلى حدوث ائتلاف ووسط رياضي بين النقيضين . وكانت هذه النظرية نتيجة طبيعية للحياة والرقيّ الثقافيّ التي وصلت اليها اليونان أبان عصرها الكلاسيكي أثناء حكم بركليس . حيث التوازن والاعتدال والانسجام والأسلوب الهندسي في كل ميادين الحياة في الفن والعمارة والسياسة ويمكن أن نلاحظ ذلك في كل الإنجازات الحضارية .[13]

أمبذقليدس. Empedocles

ولد في صقلية سنة 490 ق.م . أعتقد أن الكون كان مزيجا من الأضداد الأربعة - (الحار والبارد ، اليابس والرطب) وكانت هذه الأضداد تتصارع بفعل فكرة المحبة والغلبة .

تطور هذا الصراع ، وبفعلهانفصلت مكونات الكون إلى العناصر الأربعة (الماء ، الهواء ، النار ، التراب). بفعل قوتان هما (المحبة و الكراهية) ، وهذا الصراع بين هاتان القوتان يحمل دلالة الاعتدال والتوازن الطبيعي ، فالمحبة عدل وإنصاف ، والكراهية غلبة وعدل وهاتان الصفتان كفيلة بإيجاد الثقل والتوازن للحياة . حدث هذا بفعل حركة الاتصال والانفصال والتي تتم بها حركة الكون والأشياء ، وحركة التأريخ بديناميكية فاعلة. والكون في أصله محبة خالصة ، شاءت الصدف أن تتدخل الكراهية ، ففعلت الانفصال ، فكان أول عنصر أنفصل بفعلها الهواء

فظهرت الشمس والسماء والأرض والبحر ثم الكائنات الحية . وبقيت هذه الحركة (الاتصالوالانفصال) ، والصراع بين الحب والكراهية تفعل فعلها على امتداد حياة الانسان . كانوا . هو فهم متقدم ورائد لحركة الكون التي تعتمد على حركة الجذب والنفور بين الأجزاء. هذه الحركة ، حركة الاتصالوالانفصال ، تحدث بفعل قوتان خارجيتان ، قوتان متضادتان قوة الحب والكراهية . فالحب يؤدي إلى التناغم والتناسق والاتحاد بين العناصر ، والكراهية تؤدي إلى التناحر والتفكك والانحلال . فقد كانت العناصر جميعها متحدة في صورة واحدة وبفعل قوة الحب والكراهية أخذت تتسلل شيئاَ فشيئاَ من محيط الكون الخارجي حتى نفدت آخر الأمر إلى قلبه ومركزه وعندئذ أخذت حركة التنافر والانفصال تدب بين العناصر ، ولبثت القوة الهدامة تعمل بين عناصر الكون ، فأعتصم الشبيه بالشبيه وأخذت كل ذرة تسعى إلى عنصرها . إلى ان تم الانفصال وأستقل الماء وصار وحدة . واجتمعت النار وشكلت وحدة ثانية ، والتقت ذرات الهواء وشكلت الوحدة الثالثة . وتجمع التراب وشكل المجموعة الرابعة .ثم عادت قوة الحب مرة ثانية فجمعت العناصر الأربعة لتكون العناصر الأربعة لتكوين الكون والبشر والحيوان والنبات وكل ما في الأرض .[14]

إن هذه النظرية التي تنسجم تماما مع الفكر اليوناني كانت قاعدة مهمة لنظرية الجمال التي قام عليها الفن اليوناني القديم الذي يعتمد على فكرة الصراع بين الخير والشر ، وانتصار ارادة الخير التي تنسجم مع روح الرضا عند الآلهةالإغريقية والتي دائما تكون مع الإنسان الذي يعاني من ويلات ظلم غضب الآلهة ثم يندم ويتوب ويتضرع لنيل رضاها.

هيروقليدسHeracleitus

ولد في (أمنوس) في أسيا الصغرى (تركيا الأن) في سنة 535 ق.م ومات سنة 475 ق.م ، كان معاصراَ لبارميندس ، أي انه عاصر فكر المدرسة الإيلية . عاش في أسرة ارستوقراطية ، وتدرج بالوظائف في مدينة (أسوس) حتى صار حاكما فيها . وكان هذا من الأسباب التي طبعت افكاره وشخصيته التي أتسم بروح العظمة. عارض افكار (بارميندس) وافكار المدرسة الإيلية ، وأعتقد ان كينونة الوجود غير ثابته ولا خالدة ، وليس الكون في صورة ثابتة ولا خالدة ، بل هو في حالة تغير دائم ولا يستقر على صورة واحدة ، فهو في حالة تغير وتحول دائم . كل لحظة تمر تختلف عن اللحظة التي سبقتها وتباين اللحظة التي تليها . وهذا التحول هو مبدأ الصيرورة (تحول الأشياء من صورة إلى صورة أخرى) فكلشيء في هذا الكون يتحول من حال إلى حال وهذا التحول والتبدل حالة أبدية .

أعتقد ان التغير يطرأ في جوهر الأشياء ، والمادة في حالة تجدد وتغير لا ينقطعان . فهذا الجبل الذي نعتقد أنه ثابت لا يتغير ،انما هو في حالة تغير مستمر ، والحقيقة أن مادته تتغير ببطىء ، لا تدركه الحواس . وموجة البحر والذي نعتقد أنها هي نفسها تتكرر فأن مادتها تتغير في كل

لحظة ، فتتدفق منه مواد وتخرج منه مواد . والجبل اليوم ليس هو جبل الأمس ولن يكون نفسه غداً . وهذه الموجة ليس هي الموجة السابقة ولن تكون الموجة اللاحقة . وهذه الزهرة الجميلة التي نعتقد ان صورتها ثابتة ، فأن مادتها في حالة تغير في اللحظة الزمنية الواحدة . فكل شيء موجود بصورته ، ومادته تتغير ولا تستقر على حال ، وهذا معنى الصيرورة التي يعتقدها(هيروقليدس) جوهر الكون .[15]

فاللحظة لا يمكن أن تعاش مرتين وهو يعتقد ان كل شيء يجري يتغير يمر ويختفي دون عودة . في هذا الصراع تحدد الأضداد بعضها البعض ، فالموت ليس غريبا عن الحياة وهو لا يأتيها من الخارج أنه جزء منها ، عنصر لا يمكن فصله عنها (وكون الإنسان ينخدع بالأشياء المرئية دون ان يشعر بتغيرها لكن عملية الصيرورة دائمة ، وكل شيء يجري بتغير . وعملية الصيرورة دائمةتتطور ، وكل شيء يجري يتغير ، وكل شيء يتحرك ، والحركة من صفات الحياة والثبات صفة الأموات)

الحركة والثبات ضدان يفترض أحدهما الآخر ويثبت أحدها الآخر وينفيه بشكل نسبي لا مطلق ، فالشيء يثبت في تغيره ، ويتغير في ثباته ، والأشياء تعرف بأضدادها فالحركة تدرك بأدراك الثبات . والمطلق والنسبي ضدان يثبت أحدها الأخر ويبرهن على القياسات النسبية بأمثلة من الحياة (لو خيرت الحمير بين الذهب والشعير لفضلت الشعير على الذهب ، ولو خير الأنسان بينها لاختار الذهب ، وهكذا يكون ماء البحر انقى ماء بالنسبة للأسماك ، وأكدره بالنسبة للإنسان)[16] . والقردة تعتقد انها مخلوقات جميلة ولكنها قبيحة بالنسبة الإنسان ، وهكذا الأمر بالنسبة للإنسان الذي يعتقد انه مخلوقا جميلاً ولكنه ادنى مستوى من الآلهة .

يعتقد (هيرقليدس) بأن النار هي أصل الأشياء وأصل الكون . فكل شيء يخرج من النار ، وإلى النار يعود فمعها تتنوع الكائنات . فهي صدرت من أصل واحد ، الذي هو النار ، والنار في حركة مستمرة وهي تستطيع ان تبتلع الأشياء وتحولها إلى دخان .

أعتقد ان الكون تكون عندما تحولت النار إلى هواء ، وعندما تحول الهواء إلى ماء ، والماء إلى يابسة وهذا ما يسمى بالخط الصاعد. ثم تحول اليابس إلى ماء ، والماء إلى هواء والهواء إلى نار مرة ثانية وهذا ما يسمى بالخط النازل. فالحياة تدب في الأشياء التي ترتفع درجة حرارتها ، فالنشاط العقلي وحيوية الجسم لا تتضح إلا عندما تزيد حرارة الجسم . وكلما اظلم الشي خفت حرارته ، وطفئت النار الذي فيه حتى يبرد.

و ينكر أن ترتقي الحواس إلى مرتبة العقل والمعرفة ، أنما هي أدوات يستعين بها العقل للوصول الى قوانين المعرفة . والحواس قد تكون أدوات خادعة إذا لم يتبصر الإنسان في استخدامها

،لأنها قد لا تدرك المتغيرات التي تحصل في الأشياء والتي لا يمكن إداركها في كثير من الأحيان إلا بواسطة العقل المجرد .[17]

الفكرة الرئيسية عند هيرقليدس هي مبدأ الحركة ومبدأ وحدة الأضداد والتوازن . وهو يقول لا يمكن ان تعبر من النهر مرتين فكل شيء تغير في النهر الذي عبرته في المرة الأولى ، فليس النهر نفس النهر الذي دخلته في المرة السابقة ،حتى وإن دخلته من نفس المكان الذي تغير أيضا تبعا لمبدأ الحركة. ويمكن الإستنتاج من اراء هيروقليدس من ان نظريته قائمة على العقل (اللوغوس)[18] ، مبتعدا عن المعرفة القائمة على الحواس ، التي يعتبرها نوافذ يطل من خلالها العقل على المعارف . ارتكزت نظريته على الجدل (الديالكتيك) [19]. وتعتبر هذه النظرية وخصوصا إذا أخذنا مبدأ التغير الذي يحصل في الأشياء وتركنا الأفكار البدائية الأخرى . فأننا امام اهم النظريات العلمية الرائدة التي اكتشفها الفكر الإنساني والذي يعمل بها العلم الحديث الأن .

الفلسفة السفسطائية

اعتمدت هذه الفلسفة في تفسيرها الاتجاه الحسي الواقعي والتوحيد بين المعرفة والإدراك الحسي أو الخبرة العملية، واتخذوا من الخطابة وسيلة أساسية في نشر أفكارهم ، وساهموا مساهمة فعالة من خلال تجوالهم وطوافهم وتعليمهم الحكمة ووجهوا اهتمامهم إلى طبيعة الانسان بدلا من توجيهاها إلى العالم المثالي . (وجهوا أسئلة عن كل شيء وأخضعوا كل عقيدة ومذهب ونظام للعقل) .[20]

يعد القرن الخامس للميلاد من أهم عصور الحرية وعصور تطور الفكر وممارسة الديموقراطية [21]. حيث سادت ثقافة من الحرية البحث العلمي وحرية الرأي وفترة سادت فيها روح تمجيد العلم والمعرفة وتقدير للعلماء .ففي هذا العصر ظهرت المدرسة السقراطية (فلسفة سقراط وأفلاطون وأرسطو طاليس) والفلسفة السفسطائية (فلسفة بروتوجاس وجورجياس وهبياس) . كانت الفلسفة السفسطائيةحاجة من حاجات المجتمع في تلك الفترة حيث كان المتنافسون في السياسة ، والمتصارعون للحصول على المناصب في حاجة ما لتعلم الخطابة وامتلاك الحجة للتأثير على الناس وكان السفسطائيون اساتذة في هذا المضمار . كان المواطن في تلك المدن في ذلك العصر إنسان حر في ان يصبح قاضيا او قائدا عسكريا او مستشارا في مجلس الأعيان وكانت أحدى اهم الأدوات معرفة العلوم والمعرفة وكيفية أدارة النقاش والجدل والقدرة على الأقناع . أستفاد السفسطائيون من هذه الحالة وعرضوا علومهم وأفكارهم وأساليبهم في سوق العلم والمعرفة ، وكانوا المتعلمون يقدمون أموال طائلة مقابل هذا التعليم ، وهذا ما عباه عليهم سقراط وأفلاطون الذين يعتبرون العلم وسيلة تترفع على التكسب ويعدوها وسيلة لإكتشاف الحقيقة.

كان السفسطائيون وهم فئة من الأساتذة الأحرار المتجولون يحترفون مهنة تعليم الفلسفة وفن الكلام والجدل وفن النجاح بالحياة ، لقاء أجور ويقال انها اجور مرتفعة في ذلك الزمان .[22]

أستفاد السفسطائيون من روح التسامح التي سادت في أثينا من حرية للفكر وتقبل للرأي الأخر .كما استفادوا من الواقع السياسي حيث تسيد تلامذتهم الذين علموهم الفلسفة حين تقلدوا المناصب المهمة في اثينا أو مدن حوض البحر الأبيض المتوسط في ذلك الزمان (الأسكندرية وقورينا وطلمثايوس وقرطاجنة على الساحل الأفريقي) او جزر بحر ايجة (ساموس وامنوس وملتوس) ؛ اومدن اليونان عدا (سبارطة) التي سادت فيها الحياة السياسة المركزية والتعاليم المتزمته . فصارت للسفسطائون بفضل تلامذتهم (أسياد المدن) اليد الطولى في الحياة الفكرية والثقافية كما تمتعوا بحصانة لم يتحصل عليها غيرهم من الفلاسفة .نبغ السفسطائيون في علوم اللغة والخطابة التي كانت أهم الأدوات عندهم في أثبات وجهات نظرهم وجعلوا من الخطابة علماً سموها الأبداع. Artea ؛ وطبقوا المبدأ الفلسفي (الأطروحة التي اما تثبت او تنفي . فكما الوجود ينفي العدم ، والعدم ينفي الوجود . فالجهل ينفي المعرفة والمعرفة تنفي الجهل) . فوصلوا إلى نفي الحلقة الوسط وهي البحث . وهم يتحججون بأن معرفة الأشياء تبطل المساعي لمعرفتها ، والجهل بالأشياء تبطل البحث فيها (فما دمنا نعرف الأشياء لماذا نبحث فيها ؟ . وما زلنا نجهل الأشياء فلماذا نبحث في شيء نجهله . [23]

كانوا يرجعون مصدر القيم سواء كانت أخلاقية أو إبداعية إلى الأنسان وبناء على ذلك فقد نظروا إلى الفن على أنه ظاهرة إنسانية طبيعية وليس بفعل الإلهام الإلهي ، والإنسان في فلسفتهم يعمل وينتج بحرية تامة ما دام يفعل ذلك بحدود القانون . ومن أهم الفلاسفة السفسطائيين هم.

بروتاجوراس

يعد أحد الفلاسفة الذين انتشرت أفكارهم مع الديمقراطية في القرن الرابع ق.م . ولد في أبدرا . وحين كان أستاذا للفلسفة كان سقراط شابا يتعلم الفلسفة ويتبنى الأفكار المثالية . وصفه أفلاطون في إحدى محاوراته بأنه دمث الأخلاق قوي الحجة علم الناس السلوك المهذب فلا يغضب أو يثور ولا يحمل حجج مناظريه من الجدل أكثر مما تحتمل . أمتلك من فنون البلاغة ، وفن الكلام مما جعله اهم الفلاسفة قدرةً في زمنه . اعتقد أن الحقيقة المطلقة لا وجود لها ، وأن كل ما يوجد ، أفكار يعتنقها الناس في ظروف خاصة قد تكون مساوية القيمة في اعتقاد أناس آخرين مختلفين او أزمنة مختلفة ، وحقيقة الخير والجمال أمور نسبية ، والإنسان هو المقياس الذي تقاس به جميع الأشياء جميلة أو قبيحة .[24]أثر تأثيرا كبيرا في معاصريه بسبب نجاح أساليبه وهذا يفسر سيادة الجدل في الفلسفة والعلم والثقافة في اليونان ومدن حوض البحر الأبيض المتوسط وهو أول من أكد ان كل مسألة يمكن ان ندافع عنها كما يمكن ان نرفضها بقوة

الحجة .[25]تتميز فلسفته بتأكيد نسبيّة القيم ، إذ أن القيم تتغير حسب تقبل الإنسان لها أو رفضه لها . وهو يعتبر أن الإنسان مقياس كل شيء.

أعتقّد أن مفاهيم الإنسان عن الحق والعدالة والجمال غير ثابتة بل هي متغيرة ولا ترجع إلى مصدر إلهي إنما مرجعها إلى اتفاق الناس عليها . والفن ليس إلهاما من الآلهة إنما هو مهارة مكتسبة بالخبرة الإنسانية و التعلم . وهو يعتقد أن الحكم الجمالي الصحيح هو ما يبدو للسامع او المشاهد مقنعاً. [26]

جورجياس

ولد سنة 483 ق.م في (ليونتي)، قضى معظم حياته خارج أثينا ، حتى أرسلته مدينته سفيرا لها في أثينا ، وكان من الذين يجمعون بين السياسة والفلسفة . درس الفلسفة عند الفيلسوف (انبادوقليس) . أمتاز بأسلوبه الخطابي وألفاظه الممتعة وعبارته الجزلة المنسقة المتزنة أتزاناً دقيقا بين الشعر والنثر ، ولم يجد صعوبة في جذب الناس ويوحدهم في مواجهة جيوش الفرس والانتصار عليهم ، وهو من المعمرين ويقال انه عاش مائة عام .[27]

أعتقد هذا الفيلسوف أن الجمال مستقل عن الحقيقة ، بل أن الوهم يغديه ويزيد من جماله ، والدور الذي يلعبه الفن واللغة في التأثير على إحساس السامع أو المشاهد ، وقدرة هذه الأحاسيس على بعث الأوهام التي تسلب الإنسان أرادته وتجعله مرتبطاً بسحر الفن أو الكلام .

أتخذ من أسطورة هيلينا التي انجذبت إلى باريس وتركت أهلها وهربت معه إلى طروادة أعداء أهلها مثلاً لانفعال النفس بالوهم والخيال ، ويعتقد ان النفس تنفعل بالفنون وبتأثير الحواس والأحاسيس العنيفة والمثيرة وهذه هي غاية الجمال . فحين أبصرت هيلينا جمال باريس كان لابد أن تخضع لأغراء هذا الجمال. ويستدل أيضاً بأسطورة (بجماليون) ، الذي عشق تمثال آلهة الحب والجمال أفروديتي الذي صنعه لها . وسميت نظرية (جورجياس) نظرية الوهم في الفن (ويقصد بالوهم هنا التأثير العاطفي على السامع والمشاهد . والتي سعت إلى ارتباط الفن بالنشوة واللذات الحسية . [28]

عارض أفلاطون (صاحب النظرية المثالية في الفن) هذه النظرية ، وعدها لا توجه الجمهور إلى الخير بل توجهه إلى اللذة ، ولما كان هذا الفن لا ينطوي على الحقيقة ولا الخير ولا الجمال فأنها خيال ومحاكاة مزيفة.

سقراط

عاش (سقراط) من أجل الفكر ومات من أجل فكرة . لم يعمل قط ولم يهتم بالذي سيأتي كان همه الحكمة كيف يجدها ؟ ، وكيف يعطيها ؟ ، وكيف تكون ؟ . كان فقيراً يتجول في الأماكن العامة ،

يتجمع حوله المتعلمون يسألونه ويسألهم أن يحددوا كلامهم ،وأن يعرفوا ما يريدون ، كان يعلمهم أن الحياة بدون بحث غير جديرة بأن تعاش ، كان هاوياً للحكمة غير محترفاً لها . وعندما أعلن في اليونان أن سقراط أحكم أهل اليونان ، اجابهم مفسرا ذلك (لا أعرف غير شيئاً واحداً ، وهو أني لا أعرف شيئاً).. فاتحاً أبواب التواضع وأبواب المعرفة ، فهو دائماً ينهل من العلوم كالذي لا يعرف شيئاً .[29]

تبدأ الفلسفة عنده بتعلم الإنسان الشك و تلخصت فلسفته بعبارة (أعرف نفسك) . كانت الفلسفة اليونانية تهتم بالطبيعة والرياضيات وتبحث عن أصول العالم المادي . تحدث سقراط عن هذه الفلسفة بأنها (حسنة ولكن هناك فلسفة أجدر بأن يمارسها الدارسون ، أهم من الحجارة والأشجار والكواكب التي تملأ الطبيعة . هذه الفلسفة هي عقل الإنسان ، وما هو ؟ ،و إلى أي شيء سيتحول ؟[30]

أنتقد (سقراط) الدين الوثني الذي أعتنقه الأثنيون وأنتقد تعدد آلهتهم ، التي تتصف بصفات البشر والتي تشعر كما يشعر البشر ، وهي تمارس الخبث والحقد والضغينة والانتقام ، وتتصف بالصفات البشرية الحميدة والرديئة، وآمن بعدالة الموت ، وأدرك أن هناك شريعة أخلاقية أبدية لا يمكن أن تقوم على دين ضعيف كالدين الذي آمنت به أثينا . حكمت عليه أثينا الذي أنكر عليها آلهتها بالإعدام . وأراد القضاة إطلاق سراحه إذا تراجع عن آراءه ولكنه رفض . حاول تلامذته تخليصه من السجن وأمّنوا له الهرب ،ولكنه رفض وفضل الموت لتدعيم أفكاره ومبادئه . وقال لهم (لا تحزنوا ، فأنكم توارون في التراب جسدي فقط) .[31]

وثق (سقراط) بالعقل وأعتبره جوهر النفس البشرية ، وقف بالضد من السفسطائيين وأعتبر الفن الذي يعتمد على اللذات الحسية بعيداً عن الفن وخارج حدود الفضيلة ، والفن عنده نافع والجمال يحقق فائدة وله غايات أخلاقية.

أعطى (سقراط) أهمية خاصة للعقل ، وأختلف مع أصحاب النزعة الحسية التي درج عليها فنانوا القرن الخامس والرابع قبل الميلاد ، وبالغوا في تقديم الواقع المحسوس وابتعادهم عن قواعد الفن الكلاسيكي التي تميزت بالهيبة والوقار والنبل . وكذلك اختلف مع الشعراء الذين بالغوا في إثارة العاطفة والانفعال.

علم سقراط الفنانين في عصره (براسيوس) الرسام و(كليتون) النحات ، طريقة تمثيل الأشياء ، العقل عنده ينقل جمال النفس فالمقصود بالجمال هو بلوغ جمال الروح الذي يكمن بالأشياء النافعة . يتمثل الجمال بالعقل والفضيلة ، لذلك فضل الموت على الحياة الذليلة ،وبهذا الموقف المبدئي استمرت أفكاره بعد موته وبشر تلامذته من بعده وطوروا فكرة المثل التي أصبحت السمة الرئيسية لفلسفة أفلاطون .[32]

تعتبر محاورات أفلاطون وكتابات (زينوفون) هما المصدران الذي يُعتمد عليهما في نقل حياة سقراط . والصعوبة في معرفة سقراط من خلال محاورات أفلاطون هو صعوبة تحديد الحد الفاصل بين إرادة سقراط وإرادة أفلاطون.

لاحظ (سقراط) إن لكل عضو في أعضاء الكائنات فائدة أو غاية فالعيون خلقت من اجل الرؤية و الإذن من اجل السمع وهو يرى إن كل شيء في الوجود لها فائدة وجمال ، الأشياء تقدر بالفائدة التي تعود بها على الأنسان .

يعتقد سقراط إن تميز الإنسان عن الحيوان ليس في اختلافاته الحسية انما في الروح ، وهو لا يفصل بين (العقل والذكاء والروح) ، يقدر إن الذكاء هبه الله لتكوين العقل الإنساني. فالعلم موجود في النفس البشرية التي خلقها الله . وان ما تبصره العين هو اتصال بين العين والطبيعة ، ينتج ذلك من خلال الضوء المنبعث في العين , وينتج اللون الذي تملى العين بالرؤية الواضحة . ولكن الحواس لا تنقل الحقيقة دائما. كما في التصور العلمي في تفسير فسيولوجية العين (اعتقد القدماء إن الرؤية تتم في العين إلى الأشكال المرئية ، وليس بالعكس ، عن انعكاس الضوء في الأشكال المرئية التي تنطبع على شبكية العين. عندما تكون الحواس في حالة مرضية مثلا العين الغير سليمة لا تعطي رؤية و صحة اللسان المعطل لا يمكن إن يتحسس مذاق الأشياء كما هي وكذلك الأذن). وفي حالة الجنون يختلف الإحساس بالأشياء عن الإنسان السوي . لذلك لا يمكن إن نأخذ برأي (بورتجراس) الذي يؤمن بان الإنسان مقياس كل شيء حتى في الحالات المرضية . ولما كانت المعطيات السالفة الذكر تؤدي بالإحساس إلى إنتاج معرفة خاطئة إذ إن مرض الحواس لا ينقل الطبيعة الموجودة بشكل صحيح و الأحلام لا تستقرئ حقائق الواقع ، وإن العلم و الإحساس لا يمكن إن يكون شي واحد كما يدعى السفسطائيين.ويعتقد ان الأفكار الصحيحة ، هي الحقيقة المرسومة في قالب و عندما نطبق هذا القالب على موضوعات لا تناسبه فأننا نحصل على نتيجة خاطئة . وهو يشبه الأفكار بالحمام في برج فعندما نحاول إن نمسك بأحدها فقد يحدث إن تمسك بإحدى غير تلك التي ترغبها وهذا ما يقابل الأفكار الخاطئة.

أفلاطون

نشأ (أفلاطون) في عائلة ميسورة ، كان شاباً جميلاً ، سميّ بأفلاطون لعرض منكبيه ، تتلمذ على يد أستاذه سقراط وتأثر بأفكاره المثالية ، بل أننا كل ما نعرفه عن سقراط كان من خلال محاورات أفلاطون الفلسفية.

دخل أفلاطون رياضة الفلسفة تحت رعاية (سقراط) وإرشاده ، وأنتقل من مرحلة النقاش إلى مرحلة التحليلات في سن مبكرة .، كان نموذجاً رائعا للحضارة اليونانية القديمة شغوفاً بالحكمة

وبمعلمه (سقراط) ، معتدا بنفسه فخوراً بحضارته إذ يقول (أشكر الله الذي خلقني يونانياً لا بربريا ،حراً لا عبداً ، رجلاً لا امرأة ولكن فوق ذلك أنني ولدتُ في زمن (سقراط) .[33]

كان في الثامنة والعشرين من عمره عند موت(سقراط) ، وأصبحت حياته محفوفة بالمخاطر بسبب انحيازه إلى أستاذه في محنته ومحاولاته إنقاذه من الموت ، فكان لابد له من الرحيل ومغادرة أثينا ، سافر إلى الشرق وربما نهل من حضارات وادي الرافدين وأستقر لفترة في وادي النيل ، ولم تكن آنذاك حضارة اليونان تضاهي الحضارة المصرية ، فتأثر أفلاطون بالتقاليد الثابتة التي كانت تحكم الحضارة المصرية ، وظهر هذا التأثر في كتاباته عن الدولة الفاضلة . ثم أبحر إلى صقلية وإيطاليا وهناك التحق بفيثاغورس وتعلم منه الكثير وصار أحد أهم مصادره الفلسفية . تجول اثنتي عشر عام أرتشف خلالها الحكمة من كل نبع ومنهل وجالس الحكماء تعلم الشرائع والقوانين . عاد إلى أثينا في الأربعين من عمره وقد نضجت أفكاره وأكتسب معرفة وفناً ، فالأول مرة يعيش الفيلسوف والشاعر معاً.

أبتدع أسلوب المحاورات وسيلة لنقل أفكاره ، ويمكن القول أن هذه المحاورات إحدى كنوز المعرفة ، التي نجد فيها حلول لكثير من المشكلات الفكرية والسياسية ،ونجد فيها فلسفته الأخلاقية والأدبية والنفسانية ونظريته في الفن.

تعتمد المحاورة على ثلاثة أطراف ، المحاور الأول ودائما ما يكون بطله الرئيسي المعبر عن أفكاره (سقراط)، المحاور الثاني وهو يختلف حسب الموضوع والهدف ، والمستمعون وغالبا ما يكونوا تلامذة سقراط . بعض محاوراته تعد تراجيدية مثل(فيدرون) ، بعضها تعد كوميدية مثل محاورة (المأدبة) ، التراجيديا عنده تأخذ موضوعاتها من قصص الأبطال وتصور الإنسان أحسن من صورته الواقعية ، أما الكوميديا فهي أقرب في تصويرها للإنسان وأعماله بصورة الواقع المحسوس واكثر اهتماما بالتفصيلات و الجزئيات وأكثر دقة في رسم الحيات اليومية . فلا ريب أنه فضل التراجيديا على الكوميديا لأنها الأقرب إلى أفكاره ومزاجه.

يعرف (أفلاطون) الفلسفة بأنها الحكمة ويعرفها أيضا بالحقيقة وكل ما نراه مظهر لأصل ثابت (نموذج) ، وللوصول الحقيقة يقسم الموجودات مثال وظاهر فالمحسوسات مظاهر مثل:

1. رياضية كتشابه و الوحدة و الكثرة .
2. حقيقة كالحق و الخير و الجمال .
3. طبيعة كالإنسان وغيره من الكائنات الحية.

يعتقد ان العالم خلق من مادة غير مستقرة التي كانت في حالة غير منتظمة و فوضى غير خاضعة لقانون و اقرب للفوضى منها إلي حالة النظام ، ولان النظام هو الخير لذلكألحق الموجودات من هذه المادة غير المنتظمة وغير العاقلة وبثت بها النفس ووضع الذكاء داخل النفس ونفثت النفس

في الجسد وخلق العالم بهذه الطريقة . فقد خلق الماء وكتلة الكون و التراب والنار وصار العناصر الأربعة (النار التراب الماء الهواء) . واعتقد أفلاطون إن حكمة الله اختارت للكون الشكل الكروي أو الدائري الذي تتساوي فيه الأبعاد. بين المحيط المركزي من جميع الجهات. وبث الله في هذا العالم الحركة الدائرية من اليمين إلى الشمال وقرا الشمال إلي اليمين و الأسفل إلى الأعلى من الأعلى إلى الأسفل و من الخلف الأمام من الأمام إلى الخلف (وهذا تصور رائد ومتقدم لكروية الارض.

واعتقد أفلاطون إن خلق العالم قد اقترن بخلق السماء الموصوفة بالخلود ، وهو ما نعرفه بالزمن (الأيام و الليالي و الشهور و السنوات) وأصبح كل ما يصدر عن الماضي و المستقبل أنواع صادره عن الزمن وقد صنفه كان ويكون ، والزمن (Temps) والكون نشاء واحدة ومن اجل ذلك وضع للزمن حركة الأجرام فخلقت الشمس و القمر والكواكب .[34]

يمكن التعرف على نظرية أفلاطون في الجمال من خلال ثلاثية تفسيره للسلوك الإنساني فالسلوك الإنساني يجري في منابع ثلاثة :-

1. الرغبة . والشهوة ، مكانها في الأسود ، وهي خزان يتفجر حيوية وخصوصاً في الناحية الجنسية .
2. العاطفة ، والروح والطموح والشجاعة . مكانها القلب في قوة ومسرى الدم ، وهي المكان الأساسي للتجربة والرغبة.
3. المعرفة ، والفكر والذكاء والعقل , مكانها في الرأس وهي عين الرغبة وبصرها ، وهي مرشد الروح وهاديها

يتركز مفهوم الجمال عند (أفلاطون) في محاورة المأدبة والتي يمكن من خلالها استخلاص فكرة الجمال في فلسفته ؛ وفي هذه المحاورة يجمع المتعلمون ويكون أخرهم سقراط الذي يروي من خلال النقاش قصة الفتاة (ديوتيم)- سقراط ينوب عن أفلاطون في جميع محاوراته ، ويمثل الحقيقة التي يعتقدها(أفلاطون)- تتلخص فكرة الحب والجمال عنده كالآتي :-

يحب المبتدئ الجسد الجميل ،ويستلهم هذا الحب ليحب جميع الأجساد . ثم يستشعر العاشق بطلان هذا الحب المختصر على الأشكال المحسوسة ، ويدرك أن عليه الترفع عن هذا الحب لبلوغ الروح وحب السلوك الإنساني ، ثم يتعدى ذلك إلى حب الحكمة الأخلاقية ، رغبة في الحكمة المطلقة .ويمكن تقسيم مراحل الجمال في فلسفته كما يلي :-

1. حب الأشكال المحسوسة.
2. حب النفوس.
3. اكتساب العلم.

وبعبارة أخري يمكن تقسيم فكرة الجمال كما يلي ، الحب الجسدي ، الحب الأخلاقي ، الحب الذهني ، الحب المطلق . ويمكن رسم هرم فلسفته الذي يجب أن يقرء من قاعدته.

الخير

الجمال ـ الحق

الأفكــار الكليـــة

الأفكـار الخـاصة و الكلـية

جوهـر الحقيـقيـة الحســية

النفوس ـ الأفعال ـ الأجسام الأولي .

ينبغي على الفن عند (أفلاطون) أن يبتعد عن البيان و السفسطة ،وخداع العين وأن يبتعد عن المفتعل والوهمي . وأعتبر أفلاطون أن جميع الموضوعات التي لا تعتمد القياس ،غير جديرة بأن تكون موضوعاً للفن ، لهذا يرى بأن المنظور في الرسم من أخطر الأشكال لأنه يعتمد على خداع البصر ، فالفن عنده أينما كان يحدد بالقياس و الانسجام ويعتمد على القياس الرياضي.[35]

رفض (أفلاطون) الفن القائم على إثارة الحواس ،وطالب بفن غايته المحافظة على النسب الصحيحة ، والمقاييس الهندسية المثالية ، وطالب الفنان توجيه فنه إلى ما هو خير وحق . فضل الأسلوب الهندسي ، وأبدى إعجابه بالفن المصري المتسم بالشكلية وبالقوانين الصارمة . وضع فكرة المحاكاة مقياساً للجمال ، ولكن أي محاكاة (محاكاة العالم الحقيقي ، لا محاكاة مشاعر النفس البشرية وأحواله . [36]

أما العالم الذي نعيش فيه هي صورة مقلدة للعالم المثالي (العالم العلوي ، عالم الآلهة) . وشبه عمل الفنان كظل الأشياء ،وأي عمل هو انعكاس لشيء موجود في العالم الواقعي ، وهذا الشيء انعكاس لنفس الشيء في العالم العلوي فالفن تقليد لما هو مقلد . فالفن يحاكي مظاهر الأشياء وليس الأشياء نفسها ، فالفنان أبعد ما يكون عن الخلق بل هو أقل مرتبة من الصانع الذي صنع الأشياء .

يحاسب (أفلاطون) الأعمال الفنية على أساس ما فيها من معلومات ، ويفترض أنها تعين الإنسان على فهم حقائق الأشياء ، ويعيب عليها أنها لا تتضمن دعوة أخلاقية مباشرة . انه يحكم على الفن كما لو لم يكن بينه و بين العلم أو الأخلاق حد فاصل [37] . وعلى الرغم من أحكامه القاسية من الفن ،إلا أنه يعد من الفلاسفة الذين أمتزج إنتاجهم الفلسفي بالأدب ، وتعد محاوراته بمنزلة الأعمال الدرامية .

أرسطو طاليس

ولد(أرسطو طاليس) في مقدونيا التي تقع شمال أثينا عام 384 ق.م ، كان والده صديقاً وطبيباً للملك ، لذلك توفرت له منذ البداية فرصة النمو بعقلية علمية ، تتلمذ على يد أفلاطون عشرين سنة ، جمع خلالها كتب كثيرة ووضع أساساً لتصنيف الكتب وتبويبها ،مما دفع أفلاطون إلى تسمية بيت أرسطو بيت القارئ.[38]

عهد إليه الملك فليب ملك مقدونيا بتثقيف (الإسكندر) ، مما يدل على شهرته حتى اختير ليكون معلماً لإسكندر الذي غدا سيد العالم بعد أن تقلد السلطة بعد أبيه وقيامه بالفتوحات التي وامتدت شرقاً إلى حدود الصين .

أسس (أرسطو) مدرسة في أثينا لتعليم الفلسفة ، أهتم بالعلوم الطبيعية أكثرمن اهتمامه بالعلوم الرياضية التأملية خلافاً لمدرسة أفلاطون . ويذكر التأريخ أن الاسكندر أمر رجاله بأن يمدوا أرسطو بكل أنواع الحيوانات والنباتات التي يرغب بها من جميع أنحاء أسيا وأروبا. ويبلغ عدد الكتب التي ألفها في علم الأحياء المئات ولم يصل ألينا ألا القليل ،كما يذكر التأريخ أن أرسطو أرسل مجموعةً من تلاميذه ليسجلوا له جغرافية نهر النيل من المنبع إلى المصب .

اختلف(أرسطو) عن أستاذه الذي كان يعتقد إن الحقيقة لا تظهر من خلال الحواس بل من خلال العقل و الفطنة, وهناك عالمين عالم العقل (المثل) عالم الحقائق الأبدية ثم العالم الحسي المتغير العالم المنظور.

درس (أرسطو) الطبيعة ورأى إن معرفة الحقيقة تتم من خلال معرفة جوهر الأشياء ، يتم الوصول لمعرفة المادة بالمنهج العلمي التجريبي , وقد اختلف عن أستاذة بأن جعل العالم يبدأ من الجزئيات إلى الكليات

يتحكم في التفكير العقلي عند (أرسطو) مبدأ الوسط الذهبي . ما بين أي طرفين وسط ، و هذا الوسط هو المبدأ الصحيح ،حيث يكون ما بين التهور والجبن فضيلة الشجاعة . وما بين البخل والإسراف فضيلة الكرم . وما بين الكسل والجشع فضيلة الطموح . وما بين الخضوع و الغطرسة فضيلة الاعتدال . ما بين الكتمان والثرثرة فضيلة الأمانة . وما بين الخصام والتملق فضيلة الصداقة . عندئذ لا يختلف الصواب في الأخلاق والسلوك عن الصواب في الرياضيات محسوبا بدقة ، إنما يتذبذب هذا الوسط مع الظروف المحاذية لكل وضع .[39]

فهم (أرسطو) أن كل شيء في العالم يحركه باعث (فاعل) ليصبح شيئا أكبر مما كان عليه وكل شيْ يتكون من خلال ثالوث (المادة ، الصورة ، الحقيقة) ، وهكذا فأن الإنسان هو الصورة الذي كان الطفل مادة لها ، والطفل هو الصورة التي كان الجنين مادة لها ، والجنين الصورة للبويضة

التي تعتبر المادة لها . أن الصورة القوة الكامنة في أي شيء ليعمل ويكون شكلاً . [40]وفي العمل الفني المادة تتمثل بالخامة التي يتعامل معها الفنان ان كانت لوحة او حجرة او أي خامة تتشكل بيد الفنان ، والصورة هي الشكل الكامن في عقل الفنان وأسلوبه المتمخض عن تجربته الفنية والشكل الذي توصل اليه الفنان لتجسيد الفكرة . الحقيقة هي الناتج من تفاعل المادة مع الصورة الكامنة في عقل الفنان والفعل الذي يتمثل بخبرة الفنان في استخدام ادواته والناتج العمل الفني بصورته النهائية هي حقيقة عمل الفنان .

يعتمد الجمال عنده على اكتمال الشكل والمضمون ،ويتم ذلك بقانون التناسب والانسجام والتوازن بين أجزاء العمل الفني . والفن محاكاة مبدعة للعالم المواجه لعين الفنان وبصيرته .[41]فالفن وسيلة لسد الحاجات عند الإنسان والطبيعة وللفن دوراً كبيراً في تطهير النفس من الآثام ،. الإبداع ناتج من تفاعل الإنسان مع الطبيعة التي زودته بالوسائل التي يستطيع بها إنتاج الفنون المختلفة التي تجمل وتكمل ما ينقص الطبيعة.

أختلف عن أفلاطون الذي يعتقد بأن الفن هبة من السماء تعطيها الآلهة لبعض البشر . وربط بين الفن والطبيعة وذلك بأن الفنان يحاكي الطبيعة ليس بالتقليد الأعمى ولكن بتشكيل الطبيعة بشكلها الظاهر والباطن ، أي محاكاة القوى الباطنة المحركة للموجودات والتعبير عن ذلك من خلال الشكل الخارجي . يرى أن الإنسان بفعل الغريزة يميل إلى الإيقاع المحرك لعالمه ويستمد منه إيقاعه الفني ويعبر عن ذلك بوسائل مختلفة (فمن وسائل المحاكاة الألوان والرسوم وهذه تستخدم في الفنون التشكيلية ، وقد يستخدم الصوت كما في الموسيقى وقد يستخدم في اللغة أو توافق النغم .[42]

مهمة الفنان رؤية الأشكال والأفكار ، ليس كما هي أو كما وقعت فعلاً ، بل رؤيتها ما يمكن أن يقع بحسب الاحتمال لا بحسب الضرورة ، لأن الفنان يشكل الصورة احسن مما عليه في الواقع أو يشكلها أسوء مما هي في الواقع لذاك وصف الفن بأن يقع ضمن مجال الاحتمال لا مجال الضرورة .[43]

تناول (أرسطو) جميع أنواع الفنون والعلوم وساعده في ذلك دعم الاسكندر اللامحدود له ، تحدث عن الموسيقى في مؤلف الخطابة وتناول الفنون في كتاب الشعر . وهو أول من أطلق كلمة (بؤطيقيا Poetica) التي أطلقها على الشعر وهي مستمدة من فعل (Poein) أي ينتج والإبداع هنا حاله حال أي نشاط أنساني وفرق بين كلمة الفعل Action وبين كلمة أنتج أو صنع Make، في الصنعة يفرض الصانع صورة سابقة على المادة بفعل الضرورة أما في في فعل الفن فأن الفنان يضع صورة متخيلة بفعل الاحتمال .

إذا كنا بإمكاننا أن نسمي موقف أفلاطون من الجمال بالمثالي فأننا يمكن أن نسمي موقف (أر سطو) بالموقف الواقعي ، لأن الفنان حسب رأيه يستمد عناصر فنه من الواقع يحددها ويعدلها لكي تسمو على الواقع ولا ترقى إلى مصدر متعال حسب رأي (أفلاطون) . ظلت آراء (أفلاطون) و (ارسطو) تداولها المدارس اللاحقة من الرواقية والأبقورية وظل هذا الحال خلال العصور الوسطى.

العصر الهلنستي

سميت القرون الثلاثة التالية لفتوحات (الاسكندر) المقدوني بالعصر الهلنستي إشارة إلى تمازج الثقافتين الشرقية واليونانية . وتميزت هذه الفترة بالتقارب بين المجتمعات الشرقية واليونانية وتكسرت الحواجز بينها . وصار المواطنين الأجانب لهم حقوق اليونانيون بعد أن كان المجتمع مقسم إلى أحرار وعبيد ، بل أن كثير من الفلاسفة والفنانون الشرقيين اتجهوا إلى اليونان وانصهروا في بوتقة الثقافة اليونانية ، ويمكن القول أن الفلاسفة الكبار في هذا العصر كانوا من الشرقيين ومن شمال أفريقيا أو من مدرسة الإسكندرية.

تميزت الثقافة و الفنون اليونانية في هذا العصر بالتحرر من القواعد الكلاسيكية الراسخة وصار الفن يميل إلى العواطف بعد أن كان مقيد بالمواضيع النبيلة .[44]ويمكن أن نميز في هذا العصر مدرستين هي : الفلسفة الرواقية الفلسفة الأبيقورية .

استمدت الفلسفة الرواقية أسمها من الرواق حيث كان منشأها (زينون) 340 ق.م يعطي دروسه ، ويعتقد أنه كان من شمال أفريقيا وربما من (سريينا) في (برقة) . الفلسفة الرواقية مزيج من صوفية (أفلاطون) ومنطق (أرسطو) ممزوجة بروح الشرق ، تعتقد هذه الفلسفة أن أرادة الإنسان من أرادة الإله ، ولكي يتقبل الإنسان راضيا ما يجري في هذا العالم فقد نادى(زنون) ، بان الله الذي يهيمن على الكون ، وأنه هو العقل الكامل (جوهر الكون) وهو الجمال المطلق . أن أراء الرواقيين دينية في جوهرها حتى وان اختلفت عن ديانة تعدد الآلهة التي كانت سائدة آنذاك ولم تقطع الصلة بها .[45]

اما الفلسفة الأبيقورية مدرسة دينية تعتقد بتعدد الآلهة ، وأنها وجدت في الفراغ خالية من الصفات الرديئة ، وهذه الآلهة سعيدة دائماً وجميلة لها صورة الإنسان وتتكلم اليونانية وتصل إليها الدعوات وتتصل بهم في أحلامهم ، ومن خلال ألفن يستطيع الإنسان الاستزادة من جمالها . انتهى العصر الهلنستى بسقوط اثينا بيد الرومان.

عندما سيطرت روما على بلاد اليونان وجدت مدارس مختلفة تتقاسم الميدان الفلسفي وبما أن الرومان من الأقوام التي لم تمجد التفكير والتأمل الفلسفي . فقد عادت بالمدارس الفلسفية اليونانية مع جملة مغانمهم الحضارية . وقام الرومان باستنساخ الفنون اليونانية ، ويمكن القول

بأن الفنون والفلسفة الرومانية هي نسخة لفلسفة اليونانية وأن مالت إلى التطبيق العملي وتميزت بالابتعاد عن التعمق الفلسفي وسادت النزعة الحسية التي سادت العصر الهلنستي ، ومن أهم الفلاسفة الذين عاشوا في هذا العصر هو .

أفلوطين.

يعتقد (أفلوطين) أن الجمال هو أقرب شيئاً للنفس بل هو محبة النفس لأنه من طبيعتها وهو نتيجة العقل ،ولان طبيعة النفس جميلة فهي تحقق الجمال وتنزع القبح من الطبيعة وبناء إلى ذلك فالفنان إذا أراد أن ينقل الطبيعة فعلية أن يستمد أفكاره من عالم المعقولات وان النحات فدياس لم يصور (زيوس) بحسب ما رآه ،بل يجب أن ما يكون عليه . (الجمال يوجد في الفن أكثر مما يوجد الفنان . ويوجد في الفنان أكثر مما يوجد في أعماله الفنية ، ذلك لان الجمال يكون دائما في العلة أكثر مما يوجد في المعلول . وأن كل علة تكون في ذاتها أقوى من معلولاتها ، وتنتهي نظرية أفلوطين إلى نوع من الطهارة الروحية التي ترتفع بالنفس من عالم الحس إلى عالم الحقائق الروحية) [46]

أختلف مع الفلسفة الرواقية والأبقورية التي تعتقد كما أعتقد (أرسطو) ، أن جمال الأشياء يعتمد إلى تناسب الأجزاء . رأى (افلوطين) أن هذه الحالة سوف تقتصر على الأشياء المركبة دون الأجزاء وكيف يكون الكل جميل إذا كانت الأجزاء قبيحة . فالتناسب والمقدار أمور تتعلق بالكم وبالحقائق المادية ولا يجوز تطبيقها على الحقائق الروحية وهو يعتبر الجمال متعلق بالروح .

ينقسم العالم عند أفلوطين إلى عالمين : عالم المعقول و هو عالم الحقيقة ، و علم المحسوس و هو عالم زائف . فعالم الحقيقة يتكون من ثلاثة معقولات و هي : الواحد ، و العقل ، النفس . أما القسم الثاني فهو عالم الزائف ، فيتكون من عالم من المحسوسات عالم البشر ، الذي يدرك بالحواس . أن الواحد - الإله - هو القطب الذي تتمحور حوله الموجودات و هو مركز الفيض و الذي يشع و يفيض و تستمد منه الموجودات المعقولة و المحسوسة وجودها . أن أقرب الأشياء إلى الله و التي تفيض بضوء من الله - العقل - و هو أولى الدوائر حول المركز الفيض و ثاني الدوائر حول المركز هو النفس و تتلقى النور في فيض العقل , فهي دون العقل وفوق المادة.

يفترق العقل عن الواحد من حيث أنه ذو موضع يمارس فعل التعقل و مما يؤدي إلى أنه بحاجه إلى من سواه و هذا التعقل و التفكر يولد الموجود الثالث و هو النفس التي تتلقى الصور و المثل من العقل ، وتأتي النفس في المرتبة الثالثة و تتشوق إلى الاتصال بالواحد بواسطة العقل.وهو يعتقد أن الخير في المركز و العقل في الدائرة الثانية و النفس في دائرة متحركة يحركها الشوق ، إذا أن العقل يمتلك الخير مباشرة و يفهمه.

مميزات النحت اليوناني القديم .

امتزجت عند الإغريق فكره عالم الآلهة العالم المثالي ، العالم الخالد عالم الجمال المطلق بعالم البشر ، فوصفوا للآلهة صفة البشر وشكلوها بشكل البشر و عاداتها عادات البشر فهي تأكل و تشرب وتحب وتكره وتغار وتحارب وحتى حين حاول سقراط نفي هذه الفكرة وتعديل جمال الآلهة حاكموه وأعدموه . وصار الجمال الذي لا يضاهيه جمال ، هو الفكرة الأساسية عند الفنان الإغريقي فحتى يميز عالم الآلهة عن البشر ليس أمامه إلا أن يبحث عن صفه جديدة للجمال , لذلك ابتكروا أسلوب نحت وجوه الآلهة خاليه من التعبير الإنساني وأضفى عليها طابع النبل وصورها بحركات تنم عن الهدوء والجمال ، توارث الفنان الحركة المتوازنة لجميع التماثيل التي تصور الآلهة بوضع تكون القدم اليمنى متقدمة قليلا والركبة منثنيه بحركة خفيفة و القدم اليسرى مستقرة تحمل ثقل الجسم . استخدم النحات النسب الذهبية أي ما يسمى بالقطاع الذهبي وهي معادله رياضية استخدمت في الفنون والعمارة . وهي قانون يعتمد المنطق الرياضي ويتوفر فيه التوازن و الجمال.

استخدم الفنان الإغريقي الجسم البشري الجميل الخالي من العيوب للتعبير عن شكل الآلهة , ويذكر أن النحات اليوناني القديم كان يبحث في الموديلات عن أجمل انف و أجمل عينين وأجمل يدين وأجمل ساقين وهكذا حتى يجد توليف لهذه الأشكال و توارث النحاتون الأشكال و حتى أن المنحوتات اليونانية التي تمثل فينوس هي واحده نسخت لقرون من الزمن وهكذا بالنسبة إلى أبولوا و زيوس و ادونيس و غيرهم ، حاول الفنان اليوناني أن يحقق الجمال في صورته المثلى . رغم أن الفنان الإغريقي استطاع أن يصل إلى أسلوب فني يحكي الجمال المثالي ، لم ينل النحت رضا الفلاسفة وخصوصا أفلاطون صاحب نظرية محاكاة الجمال المطلق ، الإلهي ، جمال العالم العلوي وهو يرى أن الفنون تقع خارج حدود الجمال لأنها تحاكي الظواهر الموجودة في العالم الإنساني التي هي انعكاس للعالم الحقيقي فالفنان يحاكي ظل الحقيقة ولم يصل إلى الحقيقة . مثالية أفلاطون تقوم على أساس أن جميع الكائنات والموجودات لها في عالم الحقيقة صورة اتم وأكمل عما تكون عليها صورتها الواقعية في العلم المادي ومن هنا كانت الصورة الحسية غير مكتملة مثل الأصل الموجود في عالم الآلهة عالم الجمال المطلق.

تسعى فكرة الجمال في الفلسفة اليونانية إلى الكمال و التوازن بين الشكل والمضمون ، وامتازت الأعمال الفنية بالأفكار النبيلة وصارت قوة التفكير العقلاني والمثالي هما المعيار للجمال .

أرتبط العقل بالاتزان وأتصف بالنسبة والتناسب .حيث ظهر الاهتمام بالنسبة الدقيقة في بناء جسم الإنسان وكذلك في الهياكل المعمارية . وقد أثرت الفلسفة والدين في الفن اليوناني القديم في عصره الكلاسيكي و الهلنستي والعصر الروماني ، فكانت أغلب الموضوعات تصور أساطير اليونان القديم ومثلت آلهتهم بالشكل المثالي ، كما صور النحاتون الأبطال الرياضيين في الشجاعة والنبل أو موضوعات تمثل الحياة اليومية .

أمتاز النصف الثاني من القرن الرابع قبل الميلاد بسيادة النزعة الحسية ، وصارت الفنون أكثر تحررا في الحركة وكذلك صار الاهتمام بجسد الإنسان وأثارت الحواس والغرائز ، ويمكن أن نشخص ذلك في منحوتات (باكستيل وليسبوس) لتي تظهر بها بوضوح الميوعة والليونة والتي ابتعدت كثيراً عن أسلوب العصر الكلاسيكي التي امتازت بالقوة والثبات.

دخلت روح الشرق على في العصر الهلنستي وصارت الفنون اكثر تعبيراً عن الانفعالات وامتازت بالواقعية واهتم الفنانين على تمثيل الإنسان في كل أحواله ، وصار الفنان اكثر تحررا في إظهار تعبير الألم أو الفرح . كما صارت المنحوتات تعبر عن حركات مختلفة بينما كانت في العصر الكلاسيكي مقيدة بالحركة الواحدة . أما العصر الروماني فقد تقيد بالأسلوب الفني اليوناني وان امتاز بالواقعية . ولابد لنا أن نذكر أن اغلب المنحوتات التي عادت إلى عصرنا والتي تزخر بها المتاحف العالمية قد أنجزت في العصر الروماني وهي تقليد رائع للأعمال الفنية اليونانية.

الهوامش

1) شاعريونانيعاشفيالقرنالعاشروالحاديعشرق .ممابقيمنشعرههوملحمةالألياذةوالأديسا.
2) هزيود (Hesiod) شاعريونانيعاشخلالالقرنالثامنق. م.
3) احمدامينوآخرون،وزكينجيبمحمود،قصةالفلسفةاليونانية،ط2 ،مطبعةدارالكتبالمصرية،القاهرة، 1935 ،ص20.
4) هذهالنظريةليستنظريةرائدةفيالفكرالإنساني،انماهيمستمدةمنالفكرالسومريالقديم.
5) المصدرالسابق،ص 34.
6) وهذهالنظريةعلىسطحيتهاإلاانهاتتناسبمعالتجاربالعلميةعلىتبخرالماءوتكثيفه،وكيفيةتكونالغيوموأسبابسقوطالمطرا لذيلمتكنالمعلوماتالعلميةالتينمتلكهاالأنمتوفرآنذاك.
7) جانبيارفرنان،أصولالفكراليوناني،ترجمةسليمحداد،المؤسسةالجامعيةللدراساتوالنشر،بيروت 1987 ،ص 94
8) وسميتبالفلسفةالإيليةنسبةإلىإيليا :
وهيمستعمرةيونانيةكانتجنوبمايسمىايطالياليومازدهرتفيهاالفلسفةالتياهتمتبدراسةالطبيعة.
9) أحمدأمينوآخرون،المصدرالسابقص30-35.
10) كانأعضاءالجماعةيرتدونالباساالأبيض،وقدآثرواعيشةالخشونةوالتقشف،وهذامادرجتعليهاغلبالجماعاتالتياتخذتمنا لزهدوسيلةللعيش،كمااستخدمتهالجماعاتالمتطرفةوالمنعزلةمثلجماعة (كوكاكلوس)
الأمريكيةوالتياعتقدتسموالجنسالأبيضعلىالأجناسالملونةالأخرى .انظر،احمدامين،المصدرالسابق،ص 35.
11) تأثراخوانالصفافيالقرنالرابعالهجريبفلسفةالفثاغوريينواستخدمواأسلوبهمفيالحياةوفينشرالحكمةوفيمراسلاتهم،ولا زالتلحدالأنبعضالمذاهبالدينيةتمارسمبدأالتقية (
وهوانيبطنالمرءمايؤمنبهويظهرعكسهاتقاءالشروالعنفالمضادفيحالةالضعف. (
12) أميرةحلميمطر،فلسفةالجمال،ط2 ،دارالثقافةوالنشروالتوزيع،القاهرة، 1983 ،ص 19.
13) جعفرآليأسين،آلهةاليونان،مجلةعالمالفكر،العددالثالث،الكويت 1970 . ص76.
14) احمدامين،المصدرالسابق،ص 68.
15) المصدرنفسه،ص 57.
16) المصدرنفسه،ص 59- 61.
17) احمدامين،المصدرالسابق،ص 60.
18) اللوغوسلفظةاغريقيةتعنيعلمالقوانين (المنطق) ،وهوعندأفلاطونوأرسطوطاليس،أحدالمبادئالأساسيةفيالفلسفة.
19) كلمةيونانيةتعنيفنالحواروالمناقشةبواسطةالسؤالوالجوابوحسنالاستماع.

20) ولديورانت،قصةالفلسفة،ص8.
21) واولمنمارسهذهالثقافةالديموقراطية،هيمدنحوضالبحرالأبيضالمتوسطفيالقرنالخامسوالرابعق.م .
وكانتالمسارحالكبيرةوالصغيرةمنتشرةفيهذهالمدنوتكادلاتخلوالمدنالآثاريةالتيتعودلهذهالفترةمنالمسارحالدائريةالم
درجةوهيتشبهالأنمجالسالشوربوالبرلماناتومجالسالشيوخفيوقتناالحالي،كماأنهابمثابةمنتدياتثقافيةكانتتمارسبهاالم
ناقشاتاليوميةالتيساعدتعلىانتشارالفلسفةفيهذاالعصر.
22) يطلقفيوقتناالحاضركلمةسفسطةلتشيرإلىالجدلالذيلايؤديإلىنتيجةبلهواشبهبالمبارياتبينالمتناقشينوالذيتزخربهالنقاشا
تالعقيمةبوسائلالأعلامفيوقتناالحاليالتيهياحدىالوسائلالمتبعةللوصوللتحقيقغاياتانتخابيةاواحدىوسائلالارتزاق .
23) أحمدامينالمصدرالسابق،ص95-99.
24) ولديورانت،قصةالحضارة،نسخةألكترونية PDF ،ص2281.

25) الطاهروعزوز،مناهجالفلسفة،المركزالثقافيالعربي،بيروت 1990 . ص 27.
26) ولديورانت،المصدرسابق،ص8
27) المصدرنفسه،ص2291.
28) أميرةحلميمطر،المصدرالسابق،ص17
29) ولديورانت،قصةالفلسفة،ترجمةفتحاللهمحمدالمشعشع،ط6 ،مكتبةالمعارف،بيروت 1988 . ص11.
30) نفسالمصدر،ص12.
31) نفسالمصدر،ص13.
32) نفسالمصدر،ص 31.
33) أميرةحلميمطر،المصدرالسابق،ص22.
34) عبدالرحمنبدوي،موسوعةالفلسفة،دارالقلم،بيروت،ص107.
35) شاكرعبدالحميد،التفضيلالجمالي،عالمالمعرفة،الكويت، 1999 . ص 140.
36) المصدرنفسه،ص74.
37) ولديورانت . المصدرالسابق،ص67.
38) المصدرنفسه .ص112.
39) شاكرعبدالحميد .المصدرالسابق،ص 75.
40) المصدرنفسه،نفسالمصدر،ص 71.
41) أميرةحلميمطر،المصدرالسابق . ص59.
42) ارنولدهاوزر . الفنوالمجتمععبرالتأريخ . ،الفنوالمجتمععبرالتأريخ،ج1
ترجمةفوادزكريا،المؤسسةالعربيةللدراساتوالنشر،بيروت 1981 ،ص 125.
43) ادوينبيفان،الفلاسفةاليونان . موسوعةتأريخفنالعالم،جونهامرتن،المجلدالسادس،مكتبةالنهضةالمصرية،ص 75
44) .أميرةحلميمطر،المصدرالسابق،ص59.
45) ادوينبيفان،المصدرالسابق،ص 75.
46) .
جيزاريختر،الفنالإغريقي،مقدمةفيالفنالإغريقي،ترجمةجمالالحرامي،دارالأمانيللطباعةوالنشروالتوزيع،طرطوس،
سوريا، 1987 ،ص76 .